



أحكام الأسير في الإسلام

(103) سورة العنصر

الحلقة الثالثة

2021-04-03

إن المعركة بين الحق والباطل حتمية لا مفر منها، والمسلمون يعيشون ضمن هذا العالم، فهم محاربون كما كانوا في عصور نهضتهم أو محاربون كما هو الحال اليوم. والفرق بين الواقعيين أن المسلمين يوم كانوا يحاربون كانوا يقاتلون لإعلاء كلمة الله والحق والعدل ولنصرة المستضعفين الذين يسامون سوء العذاب وحين تكتب لهم الغلبة لم يكونوا يحيدون عن المبدأ الذي خرجوا من أجله، أما وقد أصبحوا محاربين فقد حرم العالم خيراً كثيراً. ما أريد قوله: لا يوجد عالم وردي بلا حروب إلا عند الحالمين، والتاريخ والواقع شاهدان فلا بد من وضع أحكام للحرب كما أن هناك أحكاماً للسلم. ووجود الأسرى من الطرفين نتيجة حتمية للمعركة، ولقد وضع الإسلام قواعده للتعامل مع الأسرى.

خياران للتعامل مع الأسير:

إن أمام ولي الأمر خيارين في التعامل مع الأسير، وقد جاء النص القرآني صريحاً بهما، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَانَ فَاِئْتَا مَنَّا بَغْذُ وَإِنَّا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ يَبْغِضَ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُبَيِّلَ أَعْمَالَهُمْ (4)

(سورة محمد)

وانطلاقاً من هذه الآية فإن الخيارين في التعامل مع الأسير هما:

- 1- المن: بإطلاق سراحهم تحيياً لهم بالإسلام.
- 2- الفداء: وذلك عن طريق مبادلة الأسرى بين المسلمين وأعدائهم، أو عن طريق اقتداء ذوي الأسرى أسراهم بالمال أو بغير ذلك مما يتم الاتفاق عليه.

الحكم الشرعي للأسير:

وقد يسأل سائل: هل يقتل الأسير في الإسلام؟

والجواب: إن الحكم الشرعي للأسير وفق الآية كما مر معنا هو المنع عليه وإطلاق سراحه دون مقابل، أو الفداء بالمال أو بأسري المسلمين، وأما قتل الأسير فليس مشروعاً في الأصل إلا أن يكون للقتل سبب غير الأسر، كأن يكون الأسير قاتلاً يستحق القصاص، أو مجرم حرب كما في المصطلح الحديث، أو يقرر الحاكم ذلك من باب المعاملة بالمثل. أما قوله تعالى:

يَسْمِ اللّٰهُ الرَّحْمٰنَ الرَّحِيْمَ
مَا كَانَ لِتَيْبٍ اَنْ يَكُوْنَ لَهُ اَسْرٰى حَتّٰى يُنْجِنَ فِي الْاَرْضِ تُرِيْدُوْنَ غَرْصَ الدِّيْنِ وَاللّٰهُ يُرِيْدُ الْاٰخِرَةَ ۗ وَاللّٰهُ غَرِيْبٌ حَكِيْمٌ (67)

(سورة الأنفال)

فقد نزل بعد معركة بدر وفي هذه الآية يبين المولى جل جلاله أن الفداء لا يكون إلا بعد الإخفاق أي بعد أن تكون الرفعة والقوة للمسلمين وبهاهم أعداؤهم ويحسبون لهم ألف حساب، أما أن يكون هناك أسرى يفادون بالمال قبل تحقيق النصر فهذا لا يصح. ولسائل أن يسأل: هل يسترقّ الأسير أي يجعل رقيقاً عبداً، والجواب: يمكن أن يحصل ذلك من مبدأ المعاملة بالمثل ولكنه استثناء يقرره الحاكم وليس أصلاً، فلقد كان الاسترقاق شائعاً في تلك العصور ولا يعقل أن يأمن الأعداء على أسراهم من الاسترقاق ولا يأمن المسلمون على أسراهم، من هنا كان لولي الأمر أن يقرر استرقاق بعض الأسرى من باب المعاملة بالمثل، أما الأصل فهو مبادلة الأسرى إن كان للمسلمين أسرى عند أعدائهم.

الإحسان للأسير:

وبغض النظر عن الخيارات السابقة فإن الإسلام يقرر معاملة الأسير بالإحسان بشقيه المادي والمعنوي ففي الإحسان المادي يقول تعالى:

يَسْمِ اللّٰهُ الرَّحْمٰنَ الرَّحِيْمَ
وَيُطْعِمُوْنَ الطَّعَامَ عَلٰى حُبِّهِ مِسْكِيْنًا وَيَتِيْمًا وَّاسِيْرًا (8)

(سورة الإنسان)

وفي التربية النفسية يقول تعالى:

يَسْمِ اللّٰهُ الرَّحْمٰنَ الرَّحِيْمَ
يَا اَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّمَنْ فِيْ اَيْدِيْكُمْ مِّنَ الْاَسْرٰى اِنْ يَعْلَمِ اللّٰهُ فِيْ قُلُوْبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا اُحْدَ مِنْكُمْ وَتَعْفُوْا لَكُمْ ۗ وَاللّٰهُ عَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ (70)

(سورة الأنفال)

فالمجتمع المسلم يستثمر وجود الأسرى عنده لتلمس مكان من الخير والصالح في نفوسهم لينبني عليها فيتحقق مفهوم الرحمة التي أرسل بها محمد صلى الله عليه وسلم للعالمين، وكان الأسير خلال أسره يكون في مركز للتأهيل والإصلاح الإيماني.

قصة تجسّد طريقة التعامل مع الأسرى في الإسلام:

وهذه قصة تامة بن أنال تمثّل خير تمثيل طريقة التعامل مع الأسرى خلال مدة أسره.

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني خبيقة يقال له: ثمامة بن أثال، سيّد أهل التمامة، فرتبطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «هَذَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ؟» فقال: عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ، إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ دَا دِم، وَإِنْ تُعَمِّ تَعَمِّ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطِ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ؟» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُعَمِّ تُعَمِّ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطِ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ مِنْ الْغَدِ، فَقَالَ: «هَذَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ؟» فقال: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُعَمِّ تُعَمِّ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ دَا دِم، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطِ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اطْلُقُوا ثَمَامَةَ»، فَأُتِلِقَ إِلَى تَحْلِ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَأَغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَاللَّهِ، مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَنْعَصَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهٍ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَاللَّهِ، مَا كَانَ مِنْ دِينَ أَنْعَصَ إِلَيَّ مِنْ دِينٍ، فَأَصْبَحَ دِينًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ دِينٍ، وَاللَّهِ، مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَنْعَصَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدٍ، فَأَصْبَحَ بَلَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ، وَإِنْ خَلْتُكَ أَخَذْتَنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ.

والحمد لله رب العالمين.